

الحرب الإسرائيلية السورية

بين تعالي التحذيرات وسخونة الميدان

فلسطين / عدنان أبو عامر

مناورات عسكرية بوتيرة متعاضمة، وبأحجام أوسع، وحسب التقديرات الإسرائيلية، فهي المناورات والاستعدادات الأكبر منذ ١٩٧٣.

أما عن الشواهد السياسية، فتكفي الإشارة إلى أن سوريا التي تواجه حرباً دبلوماسية نتيجة سياسة العزل التي تمارسها واشنطن عليها، وفي ظل مواجهتها لاستحقاقات دولية عديدة رسختها حزمة القرارات الصادرة ضد سوريا بالتواتر منذ العام ٢٠٠٥، والتأييد العربي «الواضح» سواء للقرارات الدولية أو لسياسة واشنطن تجاه دمشق.

هذه الأمور كلها دفعت سوريا - حسب التحليل الإسرائيلي - في ظل حالة الانسداد التي يواجهها المسار السياسي في المنطقة إلى تصعيد خطابها السياسي وإجراءاتها العسكرية على الأرض، ولم يكن كلام عدد من الوزراء والمسؤولين عن احتمال اللجوء للخيار العسكري لاسترجاع الجولان مقطوع الصلة عن السياقات التي تعيشها سوريا. وهكذا، اضطرت سوريا إلى رفع سقف خطابها، لدرجة بات الحديث عن الحرب أمراً طبيعياً. أكثر من ذلك، فإنه نتيجة للظروف الأمنية المرتبكة في المنطقة عموماً، وبين الطرفين على وجه الخصوص، ورفع مستوى التجهيزات اللوجستية، وعمليات التخطيط العسكري في الجانبين، إلى علو الشأن العسكري، وزحفه على الحقول السياسية، لدرجة بات يحدد شكل السياسات والتوجهات السياسية وطبيعتها، وحتى آفاقها المستقبلية.

نوايا العدو

على الصعيد الموازي، فقد شهدت الأسابيع والأشهر الأخيرة تحركات عسكرية وسياسية إسرائيلية، منحت احتمالية أن تشن تل أبيب الضربة الأولى تجاه دمشق أفضلية كبرى من الاحتمالية المعاكسة، المتمثلة بهجوم سوري مباغت على (إسرائيل)، ولهذه الأفضلية ما يبررها، أهمها:

١- التفوق الجوي الإسرائيلي الساحق، فالجيش الإسرائيلي يمتلك سلاحاً متطوراً جداً، وقدرات

السوريين، «فهم يخلقون لأنفسهم قوة صاروخية كبيرة سيستخدمونها إذا قرروا الشروع في معركة عسكرية ضد (إسرائيل) ليستعيدوا السيطرة في الجولان»، كما يقول رؤوبين.

٢- التحذير الصادر عن مفتاح شابيير الباحث العسكري في مركز أبحاث الأمن القومي بجامعة تل أبيب، حول التوجه السوري لامتلاك صواريخ لديها قدرة ذاتية على إنتاجها، حيث دخلت في عملية إنتاج سريعة لها في العام الأخير، والحديث يدور عن صواريخ مختلفة الأشكال والأنواع: سكود، فروغ، إس. إس.

٣- الرصد الدقيق لنشر السوريين لمنظوماتهم الصاروخية، المتمركزة في منطقة صحراوية شمال شرقي دمشق، المسماة «المثلث الحديدي»، ومن هناك يستطيعون ضرب كل نقطة في (إسرائيل) تقريباً، وسيضطرون لتقريب هذه المنظومة الصاروخية إلى نقطة أقرب لجبهة الجولان ليصيبوا التجمعات السكانية بنجاعة أكبر.

٥- الامتلاك المتزايد مؤخراً للمنظومة الدفاعية السورية المكلفة بالتصدي لسلاح الجو الإسرائيلي، وتحويلها لإحدى الشبكات الأكثر اكتظاظاً في العالم، فضلاً عن ٢٠٠ بطارية مضادة للدبابات من مختلف الأنواع، وشبكة ثقيلة ومكتظة بالأسلحة المضادة للدبابات، وأسطول الدبابات الضخمة ومنظومة مدفعية مكتظة.

٦- التحركات الميدانية التي رصدتها الأمن الإسرائيلي، واعتبرها تلقائياً استعداداً للحرب، ومنها:

أ- إزالة الحواجز في القنيطرة وفي الطريق إلى هضبة الجولان، مما «فهم» إسرائيلياً بأن هذه الخطوة تهدف للسماح لمئات مقاتلي العصابات بالتحرك بحرية تجاه الجولان لتنفيذ عمليات ضد الاحتلال الإسرائيلي.

ب- أهلية عملياتية، حيث يعمل الجيش السوري على رفع أهلية وحداته وينظف استحكامات قديمة، فضلاً عن تحريكه لمنظومة صواريخ تجاه الحدود.

ج- تواتر المناورات، فقد نفذ الجيش السوري

حرب قادمة، هجوم سوري، ضربة إسرائيلية استباقية، حشود هنا وهناك، تدريبات ومناورات متبادلة على حدود جبهة الجولان المحتلة، تحركات كثيرة، وتحذيرات سياسية ساخنة تصدر عن دمشق وتل أبيب، فيما الميدان يزداد سخونة، كمؤشر واضح كما يبدو على قدوم صيف ملتهب، وربما مشتعل، من يدري؟ وفي الوقت الذي تحيي فيه دولة الاحتلال الذكرى السنوية الأولى لهزيمتها المنكرة أمام حزب الله، بدأت تعلق في الأفق العسكري الإسرائيلي صيحات التحذير والتحضير؛ بل والتبرير، لحرب قادمة مع سوريا هذه المرة، وتستحضر المؤسسة العسكرية العديد من الشواهد والمؤشرات التي تحذر صناع القرار في تل أبيب وواشنطن من أن دمشق بصدد شن حرب قادمة، وكأن هذا الأمر أصبح لا فكاك منه!

شواهد إسرائيلية

مع أن هناك رزمة من الأسباب الموجبة لهذا التحذير، لا سيما حول شكل وطبيعة الإستراتيجية والخيارات العسكرية حيال سوريا، إلا أن المؤسسات السياسية والأمنية والعسكرية والإعلامية الإسرائيلية اتكأت على ما يبدو على حائط المزاعم التي تشيع بأن الجارة السورية بصدد الإعداد لحرب مقبلة نهاية الصيف الجاري، من خلال الشواهد التالية:

١- التزود السوري مؤخراً بكميات كبيرة من الأسلحة والصواريخ الروسية والإيرانية، وحسب مزاعم الرئيس السابق لإدارة الدفاع ضد الصواريخ في وزارة الحرب عوزي رؤوبين فإن إيران تزود سوريا، بعدد كبير من الصواريخ من طراز «زلزال ٢» بمدى ٢٥٠ كيلومتراً، ومن طراز «الفتح ١١٠»، وهو صاروخ دقيق يمكنه أن يحدث أضراراً في غاية الشدة، والرأس المتفجر له بوزن نصف طن، أي ضعف وزن الرأس المتفجر في صواريخ سكود التي أطلقت من العراق نحو تل أبيب عام ١٩٩١، وكل المؤشرات تدل على التعزيز الكبير لقوة الصواريخ قصيرة وبعيدة المدى لدى